مجلة الشهاب • المجلد: 07، العدد: 02 (2021م) • ص ص 39 – 62
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)

المجتمع الإنساني «إشارات في الاتفاق والافتراق» من خلال قوله تعالى:

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[الفاتحة: 7]

Human society: References in aspects of general agreement and differences Through the Holy verse: "The way of those on whom Thou hast bestowed Thy Grace, those whose (portion) is not wrath, and who go not astray"- Surat Al-Fatihah: Verse 7.

د/ بكار الحاج جاسم *

أستاذ مشارك في جامعة يالوا، كلية العلوم الإسلامية في تركيا،
والمدرس سابقاً في جامعة دمشق كلية الشريعة، وجامعة بلاد الشام في سوريا.
Bakkar71@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/12/06 تاريخ القبول: 2021/03/25 تاريخ النشر: 2021/07/15

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص: الاجتماع البشري سنة كونية، ولا تقوم مصالح الأفراد والمجتمعات إلا بالاختلاف في الإمكانات والقدرات البشرية، فكل إنسان محتاج إلى غيره لما فيه من نقص لا يكتمل إلا بالآخرين، لهذا الناس مضطرون إلى الاجتماع والتعاون، ولا بد من القوانين التي تضبط المجتمع حتى لا يكون الفساد، والقوانين وحدها لا تكفي؛ لهذا جعل الله تعالى بين الناس روابط إنسانية تربط بينهم لينتشر السلام وتسود المحبة، من تلك الروابط: النَّسب والمصاهرة والدِّين، وشرع أحكاماً للتأكيد على تلك الروابط، وربط العلاقات الاجتماعية بمبدأ الثواب والعقاب، وقد خاطب القرآن الناس على أساسين اثنين: الأساس الأول: الإنسانية المشتركة بين الناس جميعاً. والأساس الثاني: العقيدة التي يدين بها كل إنسان. وقد أشار قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: 7]. إلى أوجه الاتفاق والافتراق في الاجتماع البشري التي سأبين أبرزها في حدود ما يسمح به حجم البحث وفي حدود هذه الآية.

الكلمات المفتاحية: القرآن، المجتمع، الاتفاق، الاختلاف، المحبة، الولاء.

Abstract : Human societies or human gatherings are part of the cosmic laws or universal norms, also interests of individuals and societies are only because of differences in human potential and capabilities, and every human being needs another because his imperfections and shortcomings can only ever be complete by others, that's why people are obliged to meet, cooperate and work together, but within a set of laws and rules that govern relationships between them to ensure corruption and Chaos can never prevail within society, but laws and rules alone are not enough to ensure that; and that is why Allah Almighty has made human bonds or human ties between people to spread peace and love among them.

The most prominent examples of the human bonds that Allah placed between human beings: lineage, marriage and religion, in addition, God has also made provisions for humans to

* المؤلف المراسل.

emphasize those bonds, and to link social relations with the principle of reward and punishment. The Holy Qur'an addresses people on two grounds, first: humanity, which is a trait that all human beings share, second: religion and belief, in which people can differ upon, this is reflected in the Almighty saying: "The way of those on whom Thou hast bestowed Thy Grace, those whose (portion) is not wrath, and who go not astray", this Verse refers to the similarities and differences in humans and human societies, and I will explain the most prominent of them in more detail in this research, within the limits of the research and the context of the verse.

Keywords: The Quran; the society; general agreement; the difference; love; allegiance.

1. مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه أما بعد: فإنَّ علوم القرآن وإشاراته لا تتناهى، وقد أشارت فاتحة الكتاب إلى علومه، حتى قال بعضهم: أشارتْ إلى علوم الأولين والآخرين! فتوجه القصد إلى التأمل في آية من آياتها وبحث ما أشارتْ إليه في مسألة الاجتماع البشري من حيث الاتفاق والافتراق، حيث أشار قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: 7]. إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: الذين أنعم الله عليهم، وهم المؤمنون بالله وذكر طريقهم ووصفه في الآية السابقة وهي قوله تعالى: ﴿ ٱهدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلمُستَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: 6]. فالصراط المستقيم هو المنهج المعتدل الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، والعدل مقصد إنساني قرآني. القسم الثاني: غير المغضوب عليهم، ويشير بذلك إلى المجتمع الفاسدة أخلاقُه. القسم الثالث: الضالون، ويشير بذلك إلى المجتمع الفاسد اعتقاده وأفكاره. وعندما نقرأ ما لدى الحكماء عن معنى الحكمة وتقسيمها إلى حكمة نظرية وعملية يتبيّن لنا معنى الإعجاز في الإيجاز! فالصراط المستقيم هو الفضيلة الوسط الجامعة لأمهات الفضائل العقلية والغضبية والشهوية، وفساد الحكمة النظرية يشير إليه قوله تعالى: ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾. وفساد الحكمة العملية أي: الأخلاق قوله تعالى: ﴿ غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم ﴾[1].

فأهمية الموضوع تتجلى من أهمية تدبر القرآن ومقارنة إشاراته بالعلوم الإنسانية، لتقف الأنفس على زاد أوفر من الإيمان وعلى عزيمة أقوى من الرشد، وهذه الأهمية دفعتني إلى اختيار الموضوع، ودراسته دراسة تحليلية مقارنة بالفكر الأخلاقي من خلال ما ورد في بعض كتب الأخلاق في الإسلام، ولعل هذا المنهج في البحث يقدِّم شيئاً جديداً أو يقدح في ذهن الباحثين فكرة ينطلق منها إلى شيء جديد، فالبحث لَبِنَةٌ في المعرفة الإنسانية، فكما ارتكزت على لبنة سابقة ترتكز عليها لبنة لاحقة، وهكذا تتراكم المعرفة الإنسانية. فأما الدراسات السابقة فلم أجد دراسة بهذا العنوان وبهذه الطريقة، وإنْ كانتْ هناك دراسات متعددة مفصَّلة في بعض جزئيات البحث، وقد قلت: لعل المنهج المقارن بين النصوص القرآنية والعلوم الإنسانية يقدِّم شيئاً جديداً.

فأما خطة البحث فجاءت في مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة، فالمقدمة أشارت إلى أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وجديد البحث، والمنهج المتبع، وخطة البحث. والمبحث الأول تناول منهج

القرآن في الحديث عن المجتمع، والمبحث الثاني تناول الألفة في المجتمع وأسبابها، والمبحث الثالث تناول فضيلة المحبة، والمبحث الرابع تناول فضيلة الصداقة والصحبة، والمبحث الخامس تناول الولاء والبراء، والخاتمة تضمنتْ أبرز نتائج البحث.

2. التمهيد

الاجتماع الإنساني ضرورة، والإنسان مدنيٌّ بالطبع، أي: لا بدَّ له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم، وهو معنى العمران، وبيانه أن الله ﷻ خلق الإنسان وركَّبه على صورةٍ لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء، وهداه إلى التماسه بفطرته، وبما ركَّبَ فيه من القدرة على تحصيله، إلا أنَّ قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء، فلا بدَّ من اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه ليحصل القوت له، فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة، وإذا حصل للبشر هذا الاجتماع، فلا بدَّ من وازع يدفع بعضهم عن بعض، لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم، ويكون ذلك الوازع واحداً منهم، يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة، حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان، وهذا هو معنى المُلْك[2].

ولا يحصل الاجتماع الإنساني إلا بالاختلاف في الإمكانات والقدرات والحاجات، ورفع بعضهم فوق بعض درجات؛ وإلى هذه الحقيقة أشار قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الزخرف]. فالاختلاف ضرورة لازمة للاجتماع الإنساني، ومعنى قوله تعالى: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾، أي: يخدم بعضهم بعضاً، فكل إنسان محتاج للآخر، وبهذا يكون بعضهم مسخراً لبعضهم الآخر[3]. وقد "فاوت بينهم في أسباب العيش وغاير بين منازلهم، فجعل منهم أقوياء وضعفاء وأغنياء ومحاويج وموالي وخدماً؛ ليصرف بعضهم بعضاً في حوائجهم، ويستخدموهم في مهنهم، ويتسخروهم في أشغالهم، حتى يتعايشوا ويترافدوا، ويصلوا إلى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم"[4]. فحاجة الناس إلى بعضهم فطرة مغروزة في نفوسهم لا تزايلهم ومحيطة بجماعتهم ومشتملة على أدناهم وأقصاهم، فلم يخلق الله تعالى أحداً يستطيع بلوغ حاجته بنفسه، فلا بدّ لتسخير بعضهم بعضاً[5]. ولو سوى الله تعالى بينهم في كل هذه الأحوال لم يخدم أحد أحداً، ولم يصبح أحد منهم مسخراً لغيره؛ وحينئذٍ يفضي ذلك إلى خراب العالم وفساد نظام الدنيا[6].

فالآية تتحدث عن اختلاف أفراد المجتمع البشري، وكذلك هو الشأن في اختلاف الأمم والمجتمعات، فلكل أمة لغتها وصفاتها وعاداتها، حتى لونها وشكلها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحجرات]. جعلهم الله تعالى مجتمعات يتمايز بعضها عن الآخر ببعض الصفات التي جعلها أسباباً للتعارف. فقوله

تعالى: ﴿ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ عامٌ يشمل أنواع التعارف: في النسب، والقدرات، وكل ما هم محتاجون إليه[7]. فالحكمة في اختلاف المجتمعات هي التعارف؛ ولهذا عقب الله تعالى بقوله: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾، ليدفع ما كان عليه الناس من سوء فَهْمٍ لهذا الاختلاف؛ إذ كانوا يتفاضلون بأنسابهم ومواهبهم وغير ذلك، فكرامة الفرد والأمة بما تكون عليه من عقيدة صحيحة، وعمل صالح تنعم به البشرية، فالتفاوت بين الناس تفاوت في الحس لا في الجنس؛ إذْ كلهم من أبٍ واحدٍ[8]. وجاء خطاب القرآن عن المجتمع على أساسين اثنين: الأول: خاطبه على أساس إنسانيته، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة البقرة]. فالخطاب في هذه الآية للناس جميعاً، فهم مشتركون في أصل الخلقة ،حيث أبوهم واحد وهو آدم عليه السلام. والثاني: على أساس عقيدته، وقد اهتم القرآن بهذا الجانب كثيراً، فجاء خطابه موجهاً إلى فئتين مختلفتين تماماً في العقيدة الإيمانية، أو قلْ مجتمعين: الأول: المجتمع المؤمن بالله تعالى، والثاني: المجتمع الكافر، وهناك مجتمع ثالث مُذَبْذَبٌ بين هذين المجتمعين، يُلْحَق بالمجتمع المؤمن في الحياة الدنيا، ويُلْحَق بالمجتمع الكافر في الحياة الآخرة؛ ذلك أن ظاهره الإيمان وباطنه الكفر، وقد أشارت سورة الفاتحة إلى هذه القسمة الثنائية في المجتمعات الإنسانية، في قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾. فالمجتمع الأول: هم المُنْعَم عليهم بنعمة الإيمان، وهم الذين على الصراط المستقيم، والمجتمع الثاني: هم المغضوب عليهم والضالون، وهؤلاء قد انحرفوا عن الصراط المستقيم، إذن فالعقيدة هي العمود الفقري في الاتفاق والافتراق بين المجتمعات الإنسانية، وقد نظَّمَ القرآنُ العلاقات الاجتماعية بحيث لا يقع بينها صراعات وفساد وظلم، وإنْ افترقت واختلفت، بل جعل من الاختلاف وسيلة للاجتماع المعاشي العمراني.

3. المبحث الأول: منهج القرآن في الحديث عن المجتمع[9].

اهتم القرآن بالجانب العقدي والأخلاقي في حياة الفرد والمجتمع، ونظم العلاقات الاجتماعية بحيث تحقق التكامل والتعايش، ويمكن استنباط المنهج العام الذي يحقق هذا المقصد في النقاط الآتية:

3. 1. أولاً: ذم التقليد الأعمى: هذه الخطوة شاملة للتصورات الكونية والاجتماعية، وهنا نتحدث عن ذم القرآن لتصورات الإنسان الخاطئة في شأن الأمور الاجتماعية والإنسانية؛ ولأجل هذا المقصد طلب من الناس أن يتدبروا عادات وتقاليد آبائهم، فإنَّ أكثر التصورات الخاطئة ترتكز وتتأصل بالتقليد، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [سورة البقرة]. والمعنى: أيتبعونهم وهم جاهلون مخطئون لا يفقهون شيئاً من الدين ولا يهتدون للصواب والحق[10]. فالنهي عن تقليدهم حال كونهم كذلك، أما التقليد في الحقِّ فهو أصل من

أصول الإيمان، يلجأ إليه المقصرون عن درك النظر[11]. ومسألة التقليد هذه لها خطورتها على الفرد والمجتمع، فالأمة المقلِّدة سريعاً ما تنسى قيمها وفكرها، وقد نبه ابن خلدون إلى هذه المسألة، فذكر أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله، والسبب في ذلك الشعور بالضعف والاعتقاد بكمال المقلَّد[12]. وإلى هذه الحقيقة أشار قوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ [سورة إبراهيم]. ولهذا حذَّر رسول الله ﷺ أمته أنْ تكون مقلِّدة دون بصيرة، فقال: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ»[13]. قال الإمام النووي: "السَّنَن: بفتح السين والنون وهو الطريق، والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب: التمثيل بشدة الموافقة لهم، والمراد بالموافقة في المعاصي والمخالفات"[14]. ويجب أن نلفت النظر بأنَّ هذا التحذير من التقليد والتبعية لا يعني ألَّا يُسْتَفاد من نتائج العلوم التي أبدعتها أيديهم، فالحذر من التبعية في الأخلاق والتقاليد المخالفة للصراط المستقيم، فمسألة التقليد الأعمى والتبعية المطلقة دون أي قيود ضياع للأمة، والحصن الحصين الذي يحمي الأمة من ذلك هو النظر والاجتهاد، وهذه هي الخطوة الثانية في منهج القرآن في حديثه عن المجتمع.

3. 2. **ثانياً: الدعوة إلى النظر والاجتهاد**: حثَّ القرآن على النظر في الآفاق والأنفس، وكذلك حثَّ على النظر في المجتمعات وتاريخها، وفي هذه وتلك تأكيد على استقلالية الفكر والتحرر من سلطان التقليد الأعمى، قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [سورة آل عمران]. والنظر في تاريخ الأمم والشعوب فَنٌ عزيز المذهب، جم الفوائد، لا يكفي فيه مجرد النقل والتقليد، وإنما بالنظر والبحث والتثبت[15]. فبذلك تقف الأمم على تجارب بعضها، والأمة المُوَفَّقَة هي التي تأخذ المحاسن وتستبعد أسباب الضعف والانحلال، ومن هنا تأتي أهمية دراسة التاريخ في الدراسات الاجتماعية[16]، ولأهمية المسألة التاريخية في حياة الأمم قصَّ القرآن القصص، ليقف الناس أمام الخبر الصادق الذي يأتي بخلاصة تجارب الأمم مبيناً أسباب عزها وضعفها، فكان القصص القرآني ـ بذلك ـ أحسن القصص، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [سورة يوسف]. "وإنما كان أحسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحِكم والعجائب التي ليست في غيرها"[17]. والقصص القرآني غطَّى مساحة زمنية واسعة بدأتْ من خلق المكوَّنات وانتهت بانقطاع الوحي بعد النبي ﷺ، ولكن ما تحمله من العبر والسنن يجعلها تقدم نبوءات تاريخية كثيرة[18]، وهذا من أسرار الإعجاز القرآني، ولم يقتصر القصص القرآني على الأنبياء فحسب؛ بل شمل

المجتمع أفراداً وجماعات، فتحدث مثلاً عن أصحاب الجنة، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الكهف، وأصحاب الفيل، وعن ذي القرنين، وعن فرعون وقارون وغير ذلك، ومن يدرس هذه القصص ويتدبرها سيقف به النظر على استخلاص القواعد الاجتماعية وطبائع العمران كما أسماها ابن خلدون، وكذلك يقف على استخلاص السنن الإلهية الحاكمة في مسيرة الحياة الإنسانية التي صرح بها القرآن، وهذه الخطوة الثالثة التي لفت كتاب الله تعالى النظر إليها:

3. 3. **ثالثاً**: **بيان السنن الإلهية الاجتماعية**: تحدث القرآن عن سنن الله تعالى في المجتمعات الإنسانية كثيراً، فإدراك السنن الإلهية ذات أهمية بالغة في تربية الأفراد والأمم، وقد ظهرت دراسات خاصة تناولتْ هذه المسألة بالتفصيل، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣﴾ [سورة الأنفال]. فبيَّنتْ هذه الآية سنة الله في التغيير، فالسبيل الأقوم في التغيير يكون بتزكية الأنفس.

3. 4. **رابعاً**: **ربط القيم الإنسانية بفكرة الثواب والعقاب**: ربط القرآن العلاقات الاجتماعية بفكرة الثواب والعقاب؛ ليقوم الفرد والجماعة بواجبهما بدافع وظيفي وبروح المسؤولية، والأمثلة في هذا كثيرة نذكر منها:

- الإحسان إلى الوالدين: قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [سورة الإسراء]. فجاء الأمر بالإحسان إلى الوالدين في صورة قضاء من الله تعالى يحمل الأمر بعد عبادته ﷻ.

- صلة الأرحام: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء]. المعنى: إذا أردتم حقيقة التقوى فإنَّ ذلك لا يتم إلا بما أمر الله ﷻ به، ومن ذلك أن تصلوا أرحامكم، فإن لم تفعلوا فاعلموا أن الله رقيب عليكم، وهذا فيه تحذير من تلك العاقبة. فقوله: ﴿وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ أي: واتقوا الأرحام أن تقطعوها[19].

- حفظ أموال اليتامى: قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ٢﴾ [سور ة النساء]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [سور ة النساء]. فهذه الآيات تحفظ لليتامى حقوقهم من

الضياع إذا التزم المجتمع أمر الله تعالى فيها.

- حفظ أموال الناس: قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [سورة المطففين]. فهذا وعيد لمَنْ يغشُّ الناس ويتلاعب بالميزان الذي وضِع لإقامة العدل بينهم. هذه بعض الأمثلة التي توضح منهج القرآن في ربط القيم الإنسانية بالإيمان بالله تعالى، وما يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب.

وبهذا تتبين أهمية الدين في ضبط المجتمع وإقامة العدل، فكل الرسالات والفلسفات كانت تهدف إلى إقامة العدل في حياة الناس، وقد أشار إلى هذه الحقيقة قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٢٥ ﴾ [سورة الحديد]. فالميزان هو العدل[20] الذي لا يتحقق إلا بتوجيهات الدين الصحيح الذي أنزل من عند الله ﷻ. فالدين يوحد الأمة ويقوي روابطها الاجتماعية، وذلك بتأليف القلوب وجمعها على كلمة التوحيد، كما قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠٣ ﴾ [سورة آل عمران]. وبسط الكلام في هذه المسألة في المبحث الآتي، حيث نتكلم عن أوجه الاتفاق في المجتمع:

4. المبحث الثاني: الألفة في المجتمع وأسبابها

الألفة ثمرة حسن الخلق، والتفرق ثمرة سوء الخلق، فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق، وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر، ومهما طاب المثمر طابت الثمرة[21]. قال الله تعالى مظهراً عظيم منته على الخلق بنعمة الألفة: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٣ ﴾ [سورة الأنفال]. ثم ذم التفرقة وزجر عنها، فقال: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠٣ ﴾ [سورة آل عمران]. وقال رسول الله ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحَاسِنُهُمْ أَخْلَاقًا الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ»[22]. وقد ذكر الحكماء أنَّ الإنسان مدني بالطبع، متحاج إلى غيره بالضرورة؛ لذلك هو مضطر إلى معاشرة الناس العشرة الجميلة، ومحبتهم المحبة الصادقة؛ لأنهم يكمِّلون ذاته ويتممون إنسانيته، والفضائل

الإنسانية لا تظهر إلا عند مشاركة الناس ومساكنتهم ومعاملاتهم وغير ذلك من ضروب الاجتماعات، وبهذه الفضائل يصل الإنسان إلى السعادة في الدنيا والآخرة[23]. ولو تحاب الناس وتعاملوا بالمحبة لاستغنوا بها عن العدل، ولذلك عظَّم الله تعالى المنة بإيقاع المحبة بين أهل الملة، فقال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [سورة الأنفال][24]. وإنما اضطر الإنسان إلى فضيلة العدالة في المعاملات لمَّا فاته شرف المحبة، ولو كان المتعاملون أحباء لتناصفوا ولم يقع بينهم خلاف، وإذا تعاضدوا وجمعتهم المحبة وصلوا إلى جميع المحبوبات، ولم تتعذر عليهم المطالب وإن كانت صعبة شديدة، وحينئذٍ ينشؤون الآراء الصائبة، وتتعاون العقول على استخراج الغوامض من التدابير القويمة، ويتقوون على نيل الخيرات كلها بالتعاضد، ولكن هذا لا يتم على الوجه الأكمل إلا بالآراء الصحيحة التي يرجى الاتفاق من العقول السليمة عليها، والاعتقادات القوية التي لا تحصل إلا بالديانات التي يقصد بها وجه الله تعالى[25]. وأسباب الألفة كما ذكر الماوردي خمسة، هي: الدين، والنسب، والمصاهرة، والمودة، والبر[26]:

الأول: الدين وهو يبعث على التناصر، ويمنع من التقاطع والتدابر، وبمثل ذلك وصى رسول الله ﷺ فقال: «لاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ»[27]. وعلى حسب التآلف على الدين تكون العداوة فيه إذا اختلف أهله، فإن الإنسان قد يقطع في الدين مَنْ كان به براً وعليه مشفقاً، وقد يختلف أهل الدين على مذاهب شتى وآراء مختلفة، فيحدث بين المختلفين فيه من العداوة والتباين مثل ما يحدث بين المختلفين في الأديان، وعلة ذلك أن الدين والاجتماع على العقد الواحد فيه لما كان أقوى أسباب الألفة، كان الاختلاف فيه أقوى أسباب الفرقة، وإذا تكافأ أهل الأديان المختلفة والمذاهب المتباينة، ولم يكن أحد الفريقين أعلى يداً، وأكثر عدداً، كانت العداوة بينهم أقوى؛ لأنه ينضم إلى عداوة الاختلاف تحاسد الأكفاء، وتنافس النظراء.

ثانياً: النسب وفيه تعاطف الأرحام، وقد حث الشرع على صلة الأرحام، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء]. وقال: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة محمد]. وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[28].

ثالثاً: المصاهرة وبها استحداث مواصلة، وتمازج مناسبة، صدرا عن رغبة واختيار، وانعقدا على خير وإيثار، فاجتمع فيها أسباب الألفة، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا

﴿إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الروم].

رابعاً: المؤاخاة بالمودة وتُكْسِبُ بصادق الميل إخلاصاً ومصافاة، ويحدث بخلوص المصافاة وفاءً ومحاماة، وهذا أعلى مراتب الألفة، ولذلك آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه؛ لتزيد ألفتهم، ويقوى تظافرهم وتناصرهم.

خامساً: البر وهو يوصل إلى القلوب ألطافاً، ويثنيها محبة وانعطافاً؛ ولذلك ندب الله تعالى إلى التعاون به وقرنه بالتقوى له فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [سورة المائدة:2]. لأن في التقوى رضا الله تعالى، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته، قال رسول الله ﷺ: «جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا، وَبُغْضِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا»[29].

هذا ما يتعلق بأسباب الألفة بين الناس على جهة الإجمال، وسنفصل الكلام في فضيلتين مهمتين في أسباب الاتفاق والألفة، وهما فضيلة المحبة، وفضيلة الصداقة، وذلك في المبحثين الآتيين:

5. المبحث الثالث: فضيلة المحبة

عرَّف الغزالي المحبة بأنها: "ميل النفس إلى موافق ملائم". ورأى أنَّ مثلها مَثَلُ شجرة طيبة، أصلها ثابت، وفرعها في السماء، وثمارها تظهر في القلب واللسان والجوارح[30]. وذكر أنَّ المحبة لا تكون إلا بعد المعرفة والإدراك؛ إذْ لا يحب الإنسان إلا ما يعرفه؛ فالمحبة من خاصية الحيّ المُدْرِك، ثم المدرَكَات تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرِك، وإلى ما ينافيه، فكل ما في إدراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرِك، وما في إدراكه ألم فهو مبغوض عند المدرِك، إذن فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء المُلَّذ، فإنْ تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقاً، والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب، فإذا قوي سمي مقتاً[31].
وللمحبة أسباب أبرزها:[32]

5. 1. **أولاً: الذات والوجود**: المحبوب الأول عند كلِّ حيٍّ نفسُه وذاتُه، ومعنى حبه لنفسه أن في طبعه ميلاً إلى دوام وجوده، ونفرة عن عدمه وهلاكه؛ فلذلك يحب الإنسان دوام الوجود ويكره الموت، وكما أن دوام الوجود محبوب فكمال الوجود أيضاً محبوب؛ لأنَّ الناقص فاقد للكمال، والنقص عدم بالإضافة إلى القدر المفقود، وهو هلاك بالنسبة إليه، والهلاك والعدم ممقوت في الصفات، وهذه غريزة في الطباع بحكم سنة الله تعالى، ولن تجد لسنة الله تبديلاً. فإذن المحبوب الأول للإنسان ذاته، ثم سلامة أعضائه، ثم ماله وولده، وعشيرته وأصدقائه؛ لأنَّ كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها، والمال محبوب؛ لأنه أيضاً آلة في دوام الوجود وكماله، وكذا سائر الأسباب، فالإنسان يحب هذه الأشياء لا لأعيانها، بل لارتباط حظه في دوام الوجود وكماله بها.

5. 2. **ثانياً**: **الإحسان**: إنَّ الإنسان عبد الإحسان، وقد جُبِلَتْ القلوب على حبِّ مَنْ أحسن إليها، وبغض من أساء إليها.

5. 3. **ثالثاً**: **الحُسْنُ والْجَمال**: حُسْنُ وجَمَال كلِّ شيء في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له، فإذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال، وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر، والحسن والجمال موجود في غير المحسوسات؛ إذْ يقال: هذا خُلُق حسن، وهذا علم حسن، وهذه سيرة حسنة، وهذه أخلاق جميلة، وإنما الأخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة، وسائر خلال الخير، وشيء من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس، بل يدرك بنور البصيرة الباطنة، وكل هذه الخلال الجميلة محبوبة، والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته.

5. 4. **رابعاً**: **المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب**: قد تجد شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال أو حظ، ولكن بمجرد تناسب الأرواح، كما قال النبي ﷺ: «الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»[33]. قيل في معنى هذا الحديث: يحتمل أن يكون إشارة إلى معنى المشاكلة في الخير والشر، والصلاح والفساد، فكلٌّ يَحِنُّ إلى شكله، فإذا اتفقت تعارفت وإذا اختلفت تناكرت[34]. وكذلك المحبة على أقسام ثلاثة[35]:

أولاً: محبة المحسوسات: لمَّا كان الحبُّ تابعاً للإدراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس، فلكل حاسة إدراك لنوع من المدركات، ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات، وللطبع بسبب تلك اللذة ميل إليها، فكانت محبوبات عند الطبع السليم، فلذة العين في الإبصار وإدراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة، ولذة الأذن في النغمات الطيبة الموزونة، ولذة الشم في الروائح الطيبة، ولذة الذوق في الطعوم، ولذة اللمس في اللين والنعومة.

ثانياً: محبة المعقولات: لذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الإنسان، ويتميز الإنسان عنها بالحس السادس الذي يعبر عنه إما بالعقل أو بالنور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيه، وهيهات فالبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر، والقلب أشد إدراكاً من العين، وجمال المعاني المدرَكة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار، فتكون لا محالة لذة القلب بما يدركه من الأمور الشريفة الإلهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتمُّ وأبلغ، فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح إليه أقوى.

ثالثاً: محبة الله تعالى: ذكر القشيري أنَّ محبة الحق سبحانه للعبد هي إرادته لإنعام مخصوص عَلَيْهِ، كَمَا أَن رحمته لَهُ إرادة الإنعام، فالرحمة أخص من الإرادة، والمحبة أخص من الرحمة، فإرادة الله تعالى لأنْ يوصل إلى العبد الثواب والإنعام تسمى رحمة، وإرادته لأنْ يخصه بالقربة والأحوال العلية تسمى محبة،

فإرادته سبحانه صفة واحدة، فبحسب تفاوت متعلقاتها تختلف أسماؤها، فَإِذَا تعلقت بالعقوبة تسمى غضباً، وإذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة، وإذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة. ورأى أنَّ محبة العبد لله تعالى هي حالة يجدها من قلبه تلطف عن العبارة، وقد تحمله تلك الحالة على التعظيم له، وإيثار رضاه، وقلة الصبر عنه، والاهتياج إليه، وعدم القرار من دونه، ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه[36]. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران31].

6. المبحث الرابع: فضيلة الصداقة والصحبة

ذكر ابن مسكويه أنَّ الصداقة نوع من المحبة إلا أنها أخص منها، وهي المودة بعينها، والصداقة بين الأحداث ومَنْ كان في مثل طباعهم إنما تحدث لأجل اللذة، فهم يتصادقون سريعاً، ويتقاطعون سريعاً، وربما اتفق ذلك بينهم في الزمان القليل مراراً كثيرة، وربما بقيت بقدر ثقتهم ببقاء اللذة ومعاودتها حالاً بعد حال، فإذا انقطعت هذه الثقة بمعاودتها انقطعت الصداقة بالوقت وفي الحال، والصداقة من المشايخ ومَنْ كان في مثل طباعهم إنما نقع لمكان المنفعة، فهم يتصادقون بسببها، فإذا كانت المنافع مشتركة بينهم وهي في الأكثر طويلة المدة كانت الصداقة باقية، فحين تنقطع علاقة المنفعة بينهم وينقطع رجاؤهم من المنفعة المشتركة تنقطع مودتهم، والصداقة بين الأخيار تكون لأجل الخير وسببها هو الخير، ولما كان الخير شيئاً غير متغير الذات صارت مودات أصحابه باقية غير متغيرة.

ثم ذكر أنَّ الجوهر الإلهي الذي في الإنسان إذا صفا من كدورته التي حصلت فيه من ملابسة الطبيعة، ولم تجذبه أنواع الشهوات وأصناف محبات الكرامات، اشتاق إلى شبيهه، ورأى بعين عقله الخير الأول المحض الذي لا تشوبه مادة، فأسرع إليه، وحينئذٍ يفيض نور ذلك الخير الأول عليه، فيلتذ به لذة لا تشبهها لذة، ويصير إلى معنى الاتحاد استعمل الطبيعة البدنية أم لم يستعملها، إلا أنه بعد مفارقته الطبيعة بالكلية أحق بهذه المرتبة العالية؛ لأنه ليس يصفو الصفاء التام إلا بعد مفارقته الحياة الدنيوية، ومن فضائل هذه المحبة الإلهية أنها لا تقبل النقصان ولا تقدح فيها السعاية، ولا يعترض عليها الملك، ولا تكون إلا بين الأخيار فقط، وأما المحبات التي تكون بسبب المنفعة واللذة، فقد تكون بين الأشرار، وبين الأخيار والأشرار، إلا أنها تنقضي وتنحل مع تقضي المنافع واللذائذ، والسبب في هذه المحبة الأنس، وذلك أن الإنسان آنس بالطبع، وليس بوحشي ولا نفور.

وذكر أنَّ محبة الأخيار بعضهم بعضاً إنما تكون لا للذة خارجة ولا لمنفعة، بل للمناسبة الجوهرية بينهما، وهي قصد الخير والتماس الفضيلة، فإذا أحب أحدهم الآخر لهذه المناسبة لم تكن بينهم مخالفة ولا منازعة، ونصح بعضهم بعضاً، وتلاقوا بالعدالة والتساوي في إرادة الخير، وهذا التساوي في النصيحة وإرادة الخير هو الذي يوحد كثرتهم؛ ولهذا حُدَّ الصديق بأنه هو أنت إلا أنه غيرك بالشخص؛ ولهذا صار عزيز الوجود[37]. فالسعيد إذن مَنْ اكتسب الأصدقاء، واجتهد في بذل الخيرات لهم، ليكتسب بهم ما لا يقدر

أن يكتسبه لذاته، فيلتذ بهم أيام حياته، ويلتذون أيضاً به، وقد شرحنا حال هذه اللذة، وأنها باقية إلهية غير منحلة ولا متغيرة، وهؤلاء في جملة الناس قليلون جداً، وأما أصحاب اللذات البهيمية والنافع فيها فكثيرون جداً، وقد يكتفي من هؤلاء بالقليل كالملح، فالصديق الأول الذي ذكرنا وصفه، لا يمكن أن يكون كثيراً لعزته، ولأنه محبوب بإفراط، وإفراط المحبة لا يصح ولا يتم إلا لواحد، وأما حسن العشرة وكرم اللقاء والسعي لكل أحد بسيرة الصديق الحقيقي فمبذول لأجل طلب الفضيلة، ولأنَّ الرجل الخير الفاضل يسلك في عشرة معارفه مسلك الصديق، وإن لم تتم الصداقة الحقيقية فيهم، قال أرسطوطاليس: (إن الإنسان محتاج إلى الصديق عند حسن الحال وعند سوء الحال، فعند سوء الحال يحتاج إلى معونة الأصدقاء، وعند حسن الحال يحتاج إلى المؤانسة وإلى من يحسن إليه)[38]. ثم تكلم عن أوصاف الصديق وآداب الصداقة، ولا نريد الاستطراد في ذكرها، فلتراجع هناك[39].

وذكر الغزالي أن الإنسان إما أن يكون وحده أو مع غيره، وإذا تعذر عيش الإنسان إلا بمخالطة مَنْ هو من جنسه لم يكن له بد من تعلم آداب المخالطة، والأدب على قدر حقه، وحقه على قدر رابطته التي بها وقعت المخالطة، والرابطة إما القرابة وهي أخصها، أو أخوة الإسلام وهي أعمها، وينطوي في معنى الأخوة الصداقة والصحبة، وإما الجوار، وإما صحبة السفر والمكتب والدرس، وإما الصداقة أو الأخوة، ولكل واحد من هذه الروابط درجات، فالقرابة لها حق، ولكن حق الرحم المحرم آكد، وللمحرم حق، ولكن حق الوالدين آكد، وكذلك حق الجار، ولكن يختلف بحسب قربه من الدار وبعده، ويظهر التفاوت عند النسبة، حتى إن البلدي في بلاد الغربة يجري مجرى القريب في الوطن، لاختصاصه بحق الجوار في البلد، وكذلك حق المسلم يتأكد بتأكد المعرفة، وللمعارف درجات، فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسماع، بل آكد منه، والمعرفة بعد وقوعها تتأكد بالاختلاط، وكذلك الصحبة تتفاوت درجاتها، فحق الصحبة في الدرس والمكتب آكد من حق صحبة السفر، وكذلك الصداقة تتفاوت، فإنها إذا قويت صارت أخوة، فإن ازدادت صارت محبة، فإن ازدادت صارت خلة، والخليل أقرب من الحبيب، فالمحبة ما تتمكن من حبة القلب، والخلة ما تتخلل سر القلب، فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلاً، وتفاوت درجات الصداقة لا يخفى بحكم المشاهدة والتجربة، فأما كون الخلة فوق الأخوة فمعناه أن لفظ الخلة عبارة عن حالة هي أتم من الأخوة، فإذن ليس قبل المعرفة رابطة، ولا بعد الخلة درجة، وما سواهما من الدرجات بينهما[40].

7. المبحث الخامس: الولاء والبراء

أصل الولاء: المحبة والقرب[41]. والبراء بخلافه، أي: البغض والبعد. قال السيد المرتضى بعد ذكره لبعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة في هذه المسألة: "وَفِي هَذَا فروع مفيدة: الأول: أَن هَذَا كُله فِي الْحبّ الَّذِي هُوَ فِي الْقلب وخالصة لأجل الدّين، وَذَلِكَ للْمُؤْمِنين الْمُتَّقِينَ بالإجماع، وللمسلمين الْمُوَحِّدين

إِذا كَانَ لأجل إسلامهم وتوحيدهم عِنْد أهل السّنة كَمَا يَأْتِي، وَأما الْمُخَالفَة والمنافعة وبذل الْمَعْرُوف وكظم الغيظ وَحسن الْخلق وإكرام الضَّيْف وَنَحْو ذَلِك، فَيُسْتَحَب بذله لجَمِيع الْخلق إِلاَّ مَا كَانَ يَقْتَضِي مفْسدَة كالذلة، فَلا يبْذل لِلْعَدو فِي حَال الْحَرْب، كَمَا أشارت إليه الآيَة ﴿ **لا يَنْهَاكُم الله عَن الَّذين لم يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدّين**﴾ [سورة الممتحنة 8]. كَمَا يَأْتِي، وَأما التقية فَتجوز للخائف من الظَّالِمين القادرين، وَأما الْفرق بَين مَا يجوز من المنافعة والمداهنة وَمَا لا يجوز من الرِّيَاء، فَمَا كَانَ من بذل المَال وَالْمَنَافِع فَهُوَ جَائِز وَهُوَ المنافعة، وَرُبمَا عبر عَنهُ بالمداهنة والمداراة والمخالفة، وَمَا كَانَ من أَمر الدّين فَهُوَ الرياء الْحَرَام...؛ الْفَرْع الثَّانِي أَن يسير الاخْتِلاف لا يُوجب التعادي بَين الْمُؤمنِينَ وَهُوَ مَا وَقع فِي غير المعلومات القطعية من الدّين الَّتِي دلّ الدَّلِيل على تَكْفِير من خَالف فِيهَا، والأصل فِي الأمور الْمُخْتَلف فِيهَا هُوَ عدم الْعلم الضَّرُورِيّ الَّذِي يكفر الْمُخَالف فِيهِ حَتَّى يدل الدَّلِيل على ذَلِك"[42].

واتخاذ الولي أمر فطري ضروري، لأن الإنسان تطرأ عليه أحداث تؤكد له أنه ضعيف وله أغيار، فلا بد أن يأوي إلى من هو أشد منه قوة ولا يتغير، وقد أرشد القرآن الكريم المؤمن للاختيار الصحيح في ذلك، فالولاية التي لا تنقطع هي ولاية الله تعالى، فقوة الله لا يمكن أن تصير ضعفاً، وغناه لا يمكن أن ينقلب فقراً، وعلمه لا يمكن أن يؤول إلى جهل، قال تعالى: ﴿ **وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾** ﴾ [سورة النساء]. وقد اقتضت سنة الله تعالى في خلقه بأنْ تكون ولايته بالمعونة والتأييد والقرب للمؤمنين الصالحين المتقين، وليس للكافرين نصيب من تلك الولاية، فقد أوكلهم الله تعالى إلى أنفسهم وشياطينهم، فـ "كونه تعالى هو الولي وحده لا ولي سواه، فالمراد به أنه هو المتولي لأمور العباد في الواقع ونفس الأمر...؛ وذلك بما خلق لهم من المنافع ومن الأعضاء والقوى التي تمكنهم من الانتفاع بها، بما بين لهم من السنن ومهد لهم من الأسباب، وهذه هي الولايات العامة المطلقة، وأما ولايته للمؤمنين خاصة فهي عبارة عن عنايته بهم وإلهامه وتوفيقه إياهم لما فيه الخير والصلاح الروحاني والجسماني، بما اختاروا لأنفسهم من الإيمان به وبما جاءت به رسله"[43]. قال تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾** ﴾ [سورة البقرة]. أي: نصيرهم وظهيرهم، يتولاهم بعونه وتوفيقه، فيخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وجعل "الظلمات" للكفر مثلاً؛ لأن الظلمات حاجبة للأبصار عن إدراك الأشياء وإثباتها، وكذلك الكفر حاجب أبصار القلوب عن إدراك حقائق الإيمان والعلم بصحته وصحة أسبابه، فأخبر الله تعالى عباده أنه ولي المؤمنين، ومبصرهم حقيقة الإيمان وسبله وشرائعه وحججه، وهاديهم، فموفقهم لأدلته المزيلة عنهم الشكوك، بكشفه عنهم دواعي الكفر، وظلم سواتر أبصار القلوب، ثم أخبر عن أهل الكفر به، بأنَّ أولياءهم هم الأنداد والأوثان الذين يعبدونهم من دون الله، يخرجونهم من النور إلى

الظلمات[44].

وقد تحدث القرآن عن الولاء بين الناس من حيث الارتباط بالإيمان والكفر، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الولاء بين المؤمنين:

موالاة المؤمنين بعضهم بعضاً تكون في إطار الولاية لله تعالى، فيتبادلون المحبة والنصرة طبقاً للتعاقد الإيماني بينهم وبين الحق ﷻ، ويأمر بعضهم بعضاً بأوامر الله تعالى، وينهى بعضهم بعضاً عن المحظورات التي حرمها الله، ويتواصلون مع الحق بإقامة الصلاة، ويؤدون حق الله في مالهم بالزكاة، ويطيعون الله ويمتثلون أوامر رسوله ﷺ، وهم بذلك ينالون وعد الله الحق بالرحمة، وهو القادر على رعايتهم، وهو حكيم في صيانتهم، عزيز لا يغلبه أحد[45]. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة المائدة]. فالإيمان بالله تعالى هو الرابطة التي جمعتهم على الموالاة، وهذا أمر فطري، فإن الإنسان يأنس ويألف مَنْ يشاكله، و(الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ)[46]. وقد جعل القرآن هذا الأمر الفطري أمراً شرعياً، فأوجب الموالاة بين المؤمنين، وحرَّمها مع الكافرين، وكما جمع الإيمانُ المؤمنين في الموالاة، فكذلك جمع الكفْرُ موالاةَ الكافرين بعضهم بعضاً.

القسم الثاني: الولاء بين الكافرين:

لقد ذكر القرآن موالاة الكافرين بعضهم بعضاً في سياق موالاة المؤمنين، والنهي عن اتخاذهم أولياء، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الأنفال]. ويقول الله تعالى في موالاة أهل الكتاب بعضهم بعضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة المائدة]. "فالنصارى أولياء ونصراء لإخوانهم النصارى، واليهود أولياء ونصراء لليهود، فكل طائفة تنحاز ولايتها إلى أهل دينها، فالنصارى منحازون في الولاية إلى النصارى واليهود منحازون إلى اليهود، ويصح أن نفسر النص بأنهم يوالي بعضهم بعضاً، أي: اليهود يوالون النصارى ضد المسلمين، فكلتا الطائفتين تتولى الأخرى...؛ وهما دائماً إلبٌ على المسلمين كما نرى في عصرنا الحاضر، فالعالم المسيحي كله يؤيد اليهود في اغتصابهم أرض الإسلام، ووضعها تحت أيدي اليهود، ومع أنهم يدعون عدم التعصب، يتعصبون ضد المسلمين، ويؤيدون قيام دولة على أساس الدين"[47].

ويقول تعالى في موالاة المنافقين بعضهم بعضاً: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة التوبة]. المراد بقوله: "بعضهم من بعض"، أي: في صفة النفاق، كما يقول الإنسان: أنت مني وأنا منك، أي أمرنا واحد لا مباينة فيه[48]. فالمنافقون "ينعزلون عن الجماعة المؤمنة، فهم في نفرة عنهم، ويكونون أنفسهم جماعة موحدة يجمعها فكر عام موحد يناقض الجماعة العامة التي يعيشون فيها، فلا يرضيهم ما يُرضي الجماعة بل يخالفونها، ويناقضونها فيما تفكر وفيما تعمل، فقد عزلوا أنفسهم عنها، فإذا كانت الجماعة العامة متضافرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهم عكسوا، معروفهم منكر عند جماعة المؤمنين، ومنكرهم هو المعروف، ولذا قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾، أي: أنهم كل متصل الأجزاء، ولايتهم واحدة وتناصرهم واحد"[49].

ويقول تعالى في موالاة الظالمين بعضهم بعضاً: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾[سورة الجاثية]. أي: أصدقاء وأنصار وأحباب[50]. ويقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [سورة الأنعام]. أي: "نكل بعضهم إلى بعض، أو نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم، أو أولياء بعض وقرناءهم في العذاب، كما كانوا في الدنيا، بِما كانُوا يَكْسِبُونَ من الكفر والمعاصي"[51].

القسم الثالث: الولاء بين المؤمنين والكافرين:

هذه المسألة هي أدق مسائل الولاء والبراء، فقد نهى القرآن عن موالاة الكافرين في عدة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة آل عمران]. المعنى العام لهذه الآية يتلخص في النهي عن موالاة الكافرين، أي: لا تتخذوا الكافرين ظَهْرًا وأنصاراً توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلُّونهم على عوراتهم، فإنه مَنْ يفعل ذلك فقد برئ من الله وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر، إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مُسلم بفعل[52]. وكون المؤمن موالياً للكافر يحتمل ثلاثة أوجه: الأول: أن يكون راضياً بكفره ويتولاه لأجله، وهذا ممنوع منه؛ لأن كل من فعل ذلك كان مصوّباً له في ذلك الدين، وتصويب الكفر كفر، والرضا بالكفر كفر، فيستحيل أن يبقى مؤمناً مع كونه بهذه الصفة. والثاني: المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر، وذلك غير ممنوع منه. والثالث: وهو كالمتوسط بين القسمين الأولين، هو أن موالاة الكفار بمعنى الركون إليهم والمعونة والمظاهرة والنصرة، إما بسبب القرابة أو بسبب المحبة،

مع اعتقاد أن دينه باطل، فهذا لا يوجب الكفر، إلا أنه منهي عنه؛ لأن الموالاة بهذا المعنى قد تجره إلى استحسان طريقته والرضا بدينه، وذلك يخرجه عن الإسلام، فلا جرم هدد الله تعالى فيه فقال: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾[53].

وقد أشار القرآن إلى حكمة التشريع في النهي عن موالاة الكافرين، وسأقف عند ثلاثة نصوص تبيّن حقيقة موالاتهم والحكمة في النهي عن ذلك:

النص الأول: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ۖ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة آل عمران].

نهى الله تعالى المؤمنين أن يتخذوا من الكفار أخلاء وأصفياء لأنفسهم من دون أهل دينهم، وجعل "البطانة" مثلاً لخليل الرجل، فشبهه بما ولي بطنه من ثيابه، في اطِّلاعه على أسراره، وما يطويه عن أباعده وكثير من أقاربه[54]. ثم ذكر أسباب النهي عن موالاتهم والحكمة في ذلك، فهي: أولاً: ﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ لا يقصِّرون في إخلال أموركم وفسادها. ثانياً: ﴿ وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ ﴾: تمنَّوْا مشقتَكم وشدةَ ضررِكم. ثالثاً: ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾: قد ظهرت البغضاءُ في كلامهم، لِما أنهم لا يتمالكون مع مبالغتهم في ضبط أنفسِهم وتحامِلِهم عليها، أن ينفلِتَ من ألسنتهم ما يُعلم به بغضُهم للمسلمين. رابعاً: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ﴾: صدرت بحرف التنبيه إظهاراً لكمال العنايةِ بمضمونها، والمعنى لا يحبونكم والحالُ أنكم تؤمنون بكتابهم، فما بالُكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم، وفيه توبيخٌ بأنهم في باطلهم أصلبُ منكم في حقكم. خامساً: ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾: تأسفاً وتحسراً، حيث لم يجدوا إلى التشفي سبيلاً . سادساً: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ﴾: بيانٌ لتناهي عداوتِهم إلى حد الحسد لما نالهم من خير ومنفعة، والشماتة بما أصابهم من ضر وشدة، وذكرُ المسِّ مع الحسنة والإصابة مع السيئة للإيذان بأن مدارَ مساءتِهم أدنى مراتبِ إصابةِ الحسنةِ ومناطَ فرحِهم تمامُ إصابةِ السيئةِ[55].

ثم أرشد الله المؤمنين إلى كيفية تلقي أذى العدو، فقال: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: أي: إن تصبروا على طاعة الله فيما أمركم به، واجتناب ما نهاكم عنه، وتتقوا ربكم، فتخافوا التقدم بين يديه فيما ألزمكم وأوجبَ عليكم من حقه وحق رسوله، لا يضركم كيدهم؛ لأن الله تعالى بما يعمل هؤلاء الكفار في عباده وبلاده من الفساد والصدّ عن سبيله، والعداوة لأهل دينه، وغير ذلك من معاصي الله، محيط بجميعه، حافظ له، لا يعزب عنه شيء منه، حتى يوفيهم جزاءهم على ذلك كله، ويذيقهم عقوبته عليه[56]. إذن فالنهي عن موالاة الكافرين أمرٌ ناشئٌ من موقفهم المعادي للمؤمنين، وسبب واحد من الأسباب المتقدمة تكفي لعدم موالاتهم، فكيف إذا اجتمعت كل هذه الأسباب فيهم؟

النص الثاني: قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [سورة الممتحنة].

هذا النص أصل في النهي عن موالاة الكفار[57]. فقد أمر الله تعالى بالنهي عن موالاة الكفار والتودد إليهم، وأضاف في قوله: "عدوي" تغليظاً لجرمهم، وإعلاماً بحلول عقاب الله بهم، ولمَّا نهى المؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء، وشرح ما به الولاية من الإلقاء بالمودة بينهم، وذكر ما صنع الكفار بهم أولاً من إخراج الرسول ﷺ والمؤمنين، ذكر صنيعهم آخراً لو قدروا عليه من أنه إن تمكنوا منكم تظهر عداوتهم لكم، ويبسطوا أيديهم بالقتل والتعذيب، وألسنتهم بالسب، وودوا لو ارتددتم عن دينكم الذي هو أحب الأشياء إليكم، وهو سبب إخراجهم إياكم[58]. ومضمون هذا النص كالنص السابق، فلمَّا نهى هناك عن اتخاذ البطانة من دون المؤمنين، كشف هنا أن الذين من دون المؤمنين هم أعداء الله وأعداء المؤمنين، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾. ومعنى البطانة: الإلقاء والإسرار إليهم بالمودة، فالإلقاء يشير إلى الموالاة في العلن، في مقابل الإسرار؛ ولذلك قال تعالى في الآية: ﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾، أي: يعلم الإلقاء والإسرار. ثم بيَّن مظاهر عداوتهم: أولها الكفر بالحق. ثانيها: إخراج الرسول ﷺ والمؤمنين من ديارهم، ثالثها: بسط أيديهم وألسنتهم بالسوء. رابعها: رغبتهم في ردة المؤمنين عن دينهم. إذن فخلاصة عداوتهم "أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعاً: من قتل الأنفس،

وتمزيق الأعراض، وردّكم كفاراً، وردكم كفاراً أسبق المضارّ عندهم وأوّلها، لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم، لأنكم بذّالون لها دونه، والعدوّ أهم شيء عنده أن يقصد أعز شيء عند صاحبه"[59].

النص الثالث: قال الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الممتحنة].

"أمرهم بشدة العداوة مع أعدائهم على الوجه الذي يفعلونه، وأمّا من كان فيهم ذا خلق حسن، أو كان منه للمسلمين وجه نفع أو رفق، فقد أمرهم بالملاينة معه، والمؤلفة قلوبهم شاهد لهذه الجملة، فإنّ الله يحب الرّفق في جميع الأمور"[60]. وقال أكثر أهل التأويل: هذه الآية محكمة، وتدل على جواز البر بين المشركين والمسلمين، وإن كانت الموالاة منقطعة، واحتجوا بصلة أسماء بنت أبي بكر لأمها حين قدمت عليها مشركة[61].

وبعد هذا البحث في الموالاة بين المؤمنين والكافرين نستنتج أمرين:

الأول: الفرق بين الموالاة والبر والقسط: فأمَّا الموالاة فتعني: الوداد والنصرة واتخاذ البطانة، فهذا منهيٌّ عنه، وأمَّا البر فهو اسم للخير ولكل فعل مرضٍ، وأمَّا القسط فمعناه العدل، وهاتان الخصلتان تبذلان لجميع الناس، فالمؤمن عندما يدعو الكافر إلى الإيمان أليس ذلك من البر؟ وأما العدل فقال الله تعالى فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة المائدة]. وقد أحل الله تعالى للمؤمنين طعام أهل الكتاب والزواج من نسائهم، فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ۖ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ [سورة المائدة]. ولنلتفت إلى هذه المفردات (البر، القسط، الموالاة) في الآيتين السابقتين، حيث ذكر البر والقسط في قوله: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾، وذكر مفردة الموالاة في قوله: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾، فعندما ذكر عدم النهي جاء بكلمتي البر والقسط ولم يذكر كلمة الموالاة، وعندما ذكر النهي جاء بكلمة الموالاة وأبعد كلمتي البر والقسط، فدلَّ ذلك على أنَّ الموالاة غير البر والقسط، فلا نهي في بذلهما، وإنما المنهي عنه هو الودُّ والمحبة وكشف

الأسرار لهم، ولهذا قال أهل التأويل بجواز البر بين المشركين والمسلمين، وإن كانت الموالاة منقطعة، فتنبَّه!

ثانياً: الفرق بين الكافرين المحاربين وغير المحاربين: كذلك نلاحظ أن الآيتين فرقتا بين الكافرين المحاربين وغير المحاربين، فلا نهي في البر والقسط إلى الكافرين غير المحاربين، أمَّا المحاربون فلا موالاة لهم نصاً، وإنما تجري عليهم أحكام الحرب التي لا تخلو من البر والقسط، وخاصة مع الأسرى والنساء والأطفال، وغير ذلك من الأحكام المفصَّلة في كتب الفقه.

8. الخاتمة

بهذا القدر من البحث في أوجه الاتفاق والافتراق يظهر لنا وجه الإعجاز في قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [سورة الفاتحة]. فالصراط المستقيم هو المنهج الوسط الذي يحقق العدالة في النفس الإنسانية وفي المجتمع، وقد تفضل الله تعالى على عباده فأرسل الأنبياء فبينوا هذا المنهج، وكانوا أسوة حسنة في الاقتداء، فمَنْ لزم سنتهم سَعِدَ في الحياة الدنيا والآخرة. وأبرز النتائج التي خرج بها البحث الآتي:

أولاً: الاجتماع البشري سنة كونية ترتكز على الاختلاف بين الناس في الإمكانات المعرفية والمادية، فالاختلاف نفسه هو وسيلة للاجتماع. ومن الآيات الجامعة التي تشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ۝١٣ ﴾ [سورة الحجرات].

ثانياً: خطاب القرآن الاجتماعي مبني على أساسين اثنين: الأول: إنساني [يا أيها الناس]. والثاني: عقدي [يا أيها الذين آمنوا]. وقد أشارت سورة الفاتحة إلى هذه القسمة الثنائية في المجتمعات الإنسانية، في قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾. فالمجتمع الأول: هم المنعم عليهم بنعمة الإيمان، وهم الذين على الصراط المستقيم، والمجتمع الثاني: هم المغضوب عليهم والضالون، وهؤلاء قد انحرفوا عن الصراط المستقيم، إذن فالعقيدة هي العمود الفقري في الاتفاق والافتراق بين المجتمعات الإنسانية، وقد نظَّمَ القرآنُ العلاقات الاجتماعية بحيث لا يقع بينها صراعات وفساد وظلم، وإنْ افترقت واختلفت، بل جعل من الاختلاف وسيلة للاجتماع المعاشي العمراني.

ثالثاً: منهج القرآن في الحديث عن المجتمع يرتكز على ذم التقليد الأعمى للآباء أو للعادات الاجتماعية والأممية، وبالمقابل يدعو إلى البحث والتأمل والاجتهاد في السنن الكونية، وقد فصَّل القرآن السنن الكونية المرتبطة بالاجتماع البشري، لأنَّ الإنسانية لا تخضع للفرضيات والتجارب، كما هو شأن

الكونيات التي أشار إليها القرآن وترك للإنسان مجالاً للاجتهاد والاستنباط.

رابعاً: أسباب الاتفاق والألفة بين الناس متعددة أبرزها: الدين، والنسب، والمصاهرة، والمودة، والبر. وقد فصَّل القرآن الكلام في مواضع مختلفة في هذه الأسباب.

خامساً: تعد فضيلة المحبة أسمى الفضائل الإنسانية، فإذا تحابب الناس انتشر السلام بينهم، كما قال رسول الله ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُم»[62]. وقد فصَّل البحث أسباب المحبة وأنواعها.

سادساً: الولاء والبراء في القرآن لا يعنيان البتة رفض الآخر والعدوان، وإنما هما حكمان شرعيان يُراد بالأول موالاة المؤمنين بالمحبة، وبالثاني البراءة من كفر الكافرين ومعاملتهم بالبر والقسط لا بالمحبة والرضا عن كفرهم، وقد فصَّل البحث هذه المسألة، وفرَّق بين المودة والبر والقسط، فالمودة ممتنعة شرعاً، والبر والقسط مطلوب شرعاً.

التوصيات:

أولاً: أوصي نفسي والباحثين المهتمين بعلوم القرآن والتفسير: الاهتمام بالدراسات المقارنة بين العلوم والنصوص القرآنية، فإنَّ النص القرآني حمَّال أوجه، ذو إشارات علمية، وعلوم القرآن وعجائبه لا تتناهي، فهو المعجزة الخالدة المهيمن على العلوم في كافة المجالات، فالقرآن يعلو ولا يُعْلى عليه.

ثانياً: لقد مرَّ من خلال البحث عدة مسائل تحدثنا عنها بإيجاز، يمكن للباحثين دراستها بشكل مفصَّل من خلال المقارنة بين النص القرآني واختيار مجال من مجالات العلوم، كالتقليد، وسنن الاجتماع، والمحبة والصداقة والصحبة...الخ.

9. قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (1985)، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، حققه وخرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان بدمشق.
- ابن حجر، أحمد بن علي (1989)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية ببيروت: ط1.
- ابن خلدون، عبد الرحمن (دون تاريخ)، المقدمة، دار ابن خلدون بالأسكندرية، د/ط.
- ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور (دون تاريخ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر بتونس، د/ط.
- ابن مسكويه، أحمد بن محمد أبو علي (1966)، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، حققه قسطنطين زريق، نشر الجامعة الأمريكية ببيروت.
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي(دون تاريخ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار

إحياء التراث العربي ببيروت، د/ط.

- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (1983)، البحر المحيط، دار الفكر، ط2.
- أبو زهرة، محمد (دون تاريخ)، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي بمصر.
- أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني (1974)، حلية الأولياء، مكتبة السعادة، بمصر.
- الألوسي، محمود الألوسي (1994)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية بيروت، ط1.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (1987)، صحيح البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ببيروت.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر البيضاوي (دون تاريخ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، د/ط.
- الجاحظ، أبو عثمان بن عمرو (دون تاريخ)، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، د/ط.
- جاسم، بكار محمود (2012)، سنن الطبيعة والمجتمع في القرآن الكريم دراسة تأصيلية تطبيقية، دار النوادر بسوريا، ط1.
- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد (1932)، معالم السنن، المطبعة العلمية بحلب، ط1.
- خليل، د. عماد الدين(1991)، التفسير الإسلامي للتاريخ، دار العلم للملايين، ط5.
- الرازي، محمد بن عمر أبو عبد الله فخر الدين (دون تاريخ)، مفاتيح الغيب، دار الفكر بيروت، د/ط.
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (دون تاريخ)، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق الدكتور أبو اليزيد العجمي، دار الوفاء بالمنصورة، ط2.
- رضا، محمد رشيد (1990)، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الزمخشري، محمود بن عمر أبو القاسم جار الله (دون تاريخ)، الكشاف، دار الكتاب العربي ببيروت، ط3.
- الشعراوي، محمد متولي(دون تاريخ)، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم بالقاهرة، د/ط.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (1415)، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، دار الحرمين، القاهرة.
- الطبري، محمد بن جرير: (1984)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر بيروت.
- الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد (دون تاريخ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة ببيروت، د/ط.
- قاسم، د. محمود (1967)، المنطق الحديث ومناهج البحث، دار المعارف، ط5.
- القرطبي، محمد بن أحمد (دون تاريخ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب بالقاهرة: ط2.
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن (دون تاريخ)، الرسالة القشيرية، تحقيق الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، والدكتور محمود بن الشريف: دار المعارف، القاهرة.
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن (دون تاريخ)، لطائف الإشارات، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب بمصر، ط3.

- القشيري، مسلم بن الحجاج (دون تاريخ)، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت، د/ط.
- الماوردي، علي بن محمد (1986)، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، د/ط.
- المرتضى، محمد بن إبراهيم بن علي (1987)، إيثار الحق على الخلق، دار الكتب العلمية بيروت، ط2.
- موريس جنزريج، (دون تاريخ)، علم الاجتماع، ترجمة فؤاد زكريا، دار سعد بمصر، د/ط.
- النووي، يحيى بن شرف (دون تاريخ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي ببيروت، ط2.

10. الحواشي والإحالات:

[1] قال الرازي: "أهل العالم ثلاث طوائف: الطائفة الأولى: الكاملون المحقون المخلصون، وهم الذين جمعوا بين معرفة الحق لذاته، ومعرفة الخير لأجل العمل به، وإليهم الإشارة بقوله: أنعمت عليهم. والطائفة الثانية: الذين أخلوا بالأعمال الصالحة، وهم الفسقة وإليهم الإشارة بقوله: غير المغضوب عليهم. والطائفة الثالثة: الذين أخلوا بالاعتقادات الصحيحة، وهم أهل البدع والكفر، وإليهم الإشارة بقوله: ولا الضالين". مفاتيح الغيب: (محمد بن عمر أبو عبد الله فخر الدين (ت 606هـ)، دار الفكر بيروت، د/ط ، د/ت. 229/1.

[2] انظر: المقدمة: ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون (ت: 808هـ)، دار ابن خلدون الإسكندرية –د/ط-د/ت. 30.

[3] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري (محمد بن جرير: (ت310هـ)، دار الفكر بيروت، 1984م . 67/25.

[4] الكشاف: الزمخشري (محمود بن عمر أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت 528هـ)، دار الكتاب العربي ببيروت، ط3/ د/ت. 241/4.

[5] انظر: كتاب الحيوان: الجاحظ (أبو عثمان بن عمرو (ت: 255هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، د/ط-د/ت. 43/1 .

[6] انظر: مفاتيح الغيب: الرازي: 210/27 .

[7] انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي (محمود الألوسي ت: 1270هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، ط1/1415هـ/1994م. 313/13

[8] انظر: مفاتيح الغيب: 28/ 137.

[9] درستُ هذه المسألة بشكل مفصَّل في رسالة الماجستير التي طبعتْ باسم: سنن الطبيعة والمجتمع في القرآن الكريم دراسة تأصيلية تطبيقية، دار النوادر بسوريا،ط1/1433هـ/2012م.

[10] انظر: جامع البيان: الطبري: 2/ 79 ، والكشاف: الزمخشري: 1/ 211 .

[11] انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد: (ت671هـ)، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب بالقاهرة: ط2.: 2/ 216 .

[12] انظر: المقدمة: 104.

[13] صحيح مسلم: (مسلم بن الحجاج (ت 216هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت، د/ط ، د/ت . كتاب العلم: باب اتباع سنن اليهود والنصارى .

[14] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي (أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت676هـ)، ، دار إحياء التراث العربي ببيروت، ط2. 8/ 472.

[15] انظر: المقدمة: ابن خلدون: 6.

[16] انظر: المنطق الحديث ومناهج البحث، د. محمود قاسم، دار المعارف، ط5/1967م. 407، وعلم الاجتماع: موريس جنزريج، ترجمة فؤاد زكريا، دار سعد بمصر، د/ط-د/ت . 32.

[17] الكشاف: الزمخشري: 2/ 424.

[18] انظر: التفسير الإسلامي للتاريخ: د. عماد الدين خليل، دار العلم للملايين، ط5/1991م. 100.

[19] انظر: جامع البيان: الطبري: 4/ 227- و الكشاف: الزمخشري: 1/ 452.

[20] انظر: جامع البيان: الطبري: 27 / 236.

[21] انظر: إحياء علوم الدين: الغزالي (محمد بن محمد أبو حامد الغزالي (ت 505هـ)، دار المعرفة ببيروت، د/ط، د/ت. 157/2.

[22] المعجم الأوسط: الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت360هـ)، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، دار الحرمين القاهرة،1415هـ. 356/4.

[23] انظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: مسكويه (أحمد بن محمد أبو علي (ت 421هـ)، حققه قسطنطين زريق، نشر الجامعة الأمريكية ببيروت، ط/1966م. 37. واختُلِف في اسمه هل هو مسكويه أم ابن مسكويه.

[24] انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة: الراغب الأصفهاني (الحسين بن محمد (ت502هـ)، تحقيق الدكتور أبو اليزيد العجمي، دار الوفاء بالمنصورة، ط2/، د/ت. 257.

[25] انظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: مسكويه: 144.

[26] انظر: أدب الدنيا والدين، الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد (ت 450هـ)، دار مكتبة الحياة، د/ط/1986م. 147 وما بعدها.

[27] صحيح البخاري: (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (ت 256هـ)، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ببيروت، ط/1987م. كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر.

[28] صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب مَنْ بسط له في رزقه بصلة الرحم.

[29] حلية الأولياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت 430هـ)، مكتبة السعادة، بمصر، 1394هـ/1974م. 121/4.

[30] إحياء علوم الدين: 328/4.

[31] انظر: المصدر نفسه: 296/4.

[32] انظر: المصدر السابق: 297/4.

[33] صحيح البخاري: كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابٌ: الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ

[34] انظر: معالم السنن: الخطابي (أبو سليمان حمد بن محمد (ت 388هـ)، المطبعة العلمية بحلب، ط1/ 1351هـ/1932م. 115/4، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر (أحمد بن علي (ت 852هـ)، دار الكتب العلمية ببيروت: ط1: 1410هـ / 1989م. 369/6.

35 انظر: إحياء علوم الدين: الغزالي: 296/4.

36 انظر: الرسالة القشيرية: القشيري (عبد الكريم بن هوازن (ت 465هـ)، تحقيق الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، والدكتور محمود بن الشريف: دار المعارف، القاهرة. 485/2.

37 انظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: 151.

38 انظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: 166.

39 انظر: المصدر السابق: 168.

40 انظر: إحياء علوم الدين: 193/2.

41 انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: ابن تيمية (تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت 728هـ)،

حققه وخرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان بدمشق، 1405هـ/1985م. 9.

42 إيثار الحق على الخلق، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى (ت 840هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، ط1987/2م. 370.

43 تفسير المنار: محمد رشيد رضا (ت 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م. 37/3.

44 انظر: جامع البيان: الطبري: 424/5.

45 انظر: تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم بالقاهرة، د/ط، د/ت. 3524/6.

46 صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر.

47 انظر: زهرة التفاسير: محمد أبو زهرة (ت 1394هـ)، دار الفكر العربي بمصر، 2242/5.

48 انظر: مفاتيح الغيب: الرازي: 97/16.

49 زهرة التفاسير: محمد أبو زهرة: 3362/7.

50 انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: 164/16.

51 أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي (ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت 691هـ)، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، د/ط/ د/ت. 182/2.

52 انظر: جامع البيان: الطبري: 313/6.

53 انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (محمد الطاهر ابن عاشور التونسي)، الدار التونسية للنشر بتونس، د/ط، د/ت. 217/3.

54 انظر: جامع البيان: الطبري: 138/7.

55 انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود: (محمد بن محمد أبو السعود العمادي(ت982هـ)، دار إحياء التراث العربي ببيروت، د/ط، د/ت. 76/2 وما بعدها .

56 انظر: جامع البيان: الطبري: 156/7.

57 انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: 53/18.

58 انظر: البحر المحيط: أبو حيان (محمد بن يوسف الأندلسي (ت 754هـ)، البحر المحيط، دار الفكر، ط1403/2 هـ/1983م. 152/10.

59 الكشاف: الزمخشري: 512/4.

60 لطائف الإشارات: القشيري (عبد الكريم بن هوازن (ت 465هـ)، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب بمصر، ط3. 572/3.

61 انظر: مفاتيح الغيب: الرازي: 521/29، والجامع لأحكام القرآن: القرطبي: 59/18. والحديث سبق تخريجه.

62 صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب لا يدخل الجنة إلا المؤمنون.